

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سورة المسد ، أو : اللّهب
مكيّة ، وهي خمس آيات.
تسميتها :

سميت سورة المسد لقوله تعالى في آخرها : فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ أَي فِي عُنُقِ أُمِّ جَمِيلِ زَوْجَةِ أَبِي لَهَبٍ حَبْلٌ مَّفْتُولٌ مِّن لِّيفٍ . وسميت أيضا سورة تَبَّتْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَطْلَعِهَا : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ أَي هَلَكْتَ وَخَسِرْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ، كَمَا سُمِّيَتْ سُورَةُ أَبِي لَهَبٍ ، أَوْ سُورَةُ اللَّهَبِ .
مناسبتها لما قبلها :

هناك تقابل بين هذه السورة والسورة التي قبلها ، ففي السورة السابقة النصر ذكر الله تعالى أن جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا ، والثواب الجزيل في الآخرة ، وفي هذه السورة ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة أو العقبي .
ما اشتملت عليه السورة :

تضمنت هذه السورة المكية بالإجماع الكلام عن مصير أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، عمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، ومصير زوجته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان ، وهو هلاك أبي لهب عدو الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم في الدنيا ، ودخوله نار جهنم لشدة إيذائه النبي صلّى الله عليه وسلّم ومعاداته له ، وصدّه الناس عن الإيمان به .

ج 30 ، ص : 454

و كذلك زوجته شريكة معه في هذا العقاب لأنها كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فتكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم .

سبب نزول السورة :

ثبت في الصحيحين وغيرهما- واللفظ لمسلم- عن ابن عباس قال : « لما نزلت : وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء 26 / 214] ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صعد الصِّفَا ، فهتف : يا صباحاه! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد. فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب! فاجتمعوا إليه ، فقال : « أ رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبا ، قال : فأبني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبّا لك! أما جمعتنا إلا لهذا « 1 » ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : « تبتّ يدا أبي لهب ، وقد تبّ « كذا قرأ الأعمش وعبد الله وأبي إلى آخر السورة. وقراءة حفص : وتب أي الأول دعاء عليه ، والثاني خبر عنه.

و

عن طلق المحاربي قال: « بينا أنا بسوق ذي المجاز، إذ أنا بشاب حديث السن يقول: أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه- مؤخر القدم- ويقول : يا أيها الناس ، إنه كذاب فلا تصدقوه ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : محمد ، زعم أنه نبي ، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب « 2 » . «

(1) وفي رواية البخاري : ألهذا جمعتنا ؟

(2) تفسير القرطبي : 20 / 236

جزاء أبي لهب وامراته [سورة المسد (11)1 : الآيات 1 الى 5]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ

(3) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4)

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ (5)

الإعراب :

ما أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ما : إما استفهامية في موضع نصب ب أَغْنَىٰ أو نافية ، ومفعول أَغْنَىٰ محذوف ، وتقديره : ما أغنى عنه ماله شيئاً.

وَمَا كَسَبَ ما : إما مصدرية ، أي وكسبه ، أو اسم موصول ، أي الذي كسبه ، فحذف العائد تخفيفاً.

وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ امْرَأَتُهُ : إما معطوف على ضمير سَيَصْلَىٰ أي سيصلى هو وامراته

، وجاز العطف على الضمير المرفوع لوجود الفصل لأنه يقوم مقام التأكيد في جواز

العطف. وإما أنه مبتدأ مرفوع ، وَحَمَّالَةَ الْحَطَبِ خبره ، على قراءة الرفع. ومن قرأ

بالنصب حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فهو منصوب على الذم ، وتقديره : أذم حمالة الحطب.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ فِي جِيدِهَا : حال من حَمَّالَةَ الْحَطَبِ أو خبر مبتدأ مقدر.

البلاغة :

يَدَا أَبِي لَهَبٍ مجاز مرسل ، أطلق الجزء وأراد الكل ، أي هلك.

أَبِي لَهَبٍ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ بينهما جناس ، فالأول كنية له ، والثاني وصف للنار.

و الجنس : أن يتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفا في المعنى ، وهو نوعان : تام ، وغير تام .

أَبِي لَهَبٍ كِنْيَةٌ لِلتَّصْغِيرِ وَالتَّحْقِيرِ ، كَأَبِي جَهْلٍ .

حَمَّالَةُ الحُطْبِ اسْتَعْرَةٌ ، اسْتَعِيرَ هَذَا التَّعْبِيرَ لِلنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ .

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الحُطْبِ مَنْصُوبٌ عَلَى الذَّمِّ ، أَيِ أَحْصَ بِالذَّمِّ حَمَّالَةَ الحُطْبِ .

وَتَبَّ ، كَسَبَ ، لَهَبٌ ، الحُطْبُ تَوَافَقَ الفَوَاصِلُ مِرَاعَاةً لِرُؤُوسِ الآيَاتِ .

ج 30 ، ص : 456

المفردات اللغوية :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ أَيِ هَلَكَ وَخَسِرَ ، قَالَ تَعَالَى : وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ [غافر

37 / 40] وهذه الجملة دعاء عليه ، وأبو لهب : أحد أعمام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلّم واسمه : عبد العزى بن عبد المطلب ، وكنيته : أبو عتيبة ، وإنما كني أبا لهب

لحمرة وجهه . وَتَبَّ أَيِ قَدْ خَسِرَ ، وَهَذَا خَبَرٌ بَعْدَ الدَّعَاءِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِهِمْ : أَهْلَكَ اللهُ

وقد هلك ، والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه .

وَمَا كَسَبَ أَيِ وَكَسِبَهُ أَوْ مَكْسُوبُهُ بِمَالِهِ مِنَ النَّتَائِجِ وَالْأَرْبَاحِ ، وَقَوْلُهُ : مَا أَغْنَى أَيِ يَغْنِي .

سَيَصْلَى نَارًا سَيَجِدُ حَرَّهَا وَيَنُوقُ وَبِالْهَاءِ . ذَاتَ لَهَبٍ لَهَبُ النَّارِ : مَا يَسْطَعُ مِنْهَا عِنْدَ

اشتعالها ، وَذَاتَ لَهَبٍ : أَيِ تَلْهَبُ وَتَوَقَّدُ ، وَهِيَ مَنَاسِبَةٌ لِكُنْيَتِهِ بِأَبِي لَهَبٍ : أَيِ تَلْهَبُ

وجهه إشراقًا وحمرة . وَأَمْرَأَتُهُ هِيَ مِنَ سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَكُنْيَتُهَا : أُمُّ جَمِيلٍ ، وَاسْمُهَا : أُرْوَى

بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان . حَمَّالَةُ الحُطْبِ أَيِ تَحْمَلُهُ حَقِيقَةً ، فَتَحْمَلُ

حزمة الشوك والحسك ، وتنثرها بالليل في طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَوْ

تَحْمَلُ حُطْبَ جَهَنَّمَ لِأَنَّهَا تَحْمَلُ الْأَوْزَارَ بِمَعَادَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَحْمَلُ

زوجها على إيدائه . أَوْ أَنَّ التَّعْبِيرَ كِنْيَاةً عَنِ النَّمِيمَةِ الَّتِي تَوَقَّدُ الحُصُومَةَ بَيْنَ النَّاسِ .

في جِيدِهَا فِي عُنُقِهَا. حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ حَبْلٌ مَفْتُولٌ مِنْ لَيْفٍ ، أَي مِمَّا مَسَدٌ أَي فُتِلَ
وَرَبِطَ الْحَبْلُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ : تَصْوِيرٌ لَهَا بِصُورَةِ الْحَطَّابَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْحِزْمَةَ ، وَتُرْبِطُهَا
فِي عُنُقِهَا ، تَحْقِيرًا لِشَأْنِهَا ، أَوْ بَيَانًا لِحَالِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَيْثُ يَكُونُ عَلَى ظَهْرِهَا حِزْمَةٌ
مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ كَالزَّقُومِ وَالضَّرِيعِ ، وَفِي جِيدِهَا سِلْسَلَةٌ مِنَ النَّارِ.

التفسير والبيان :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ، وَتَبَّ « 1 » أَي هَلَكْتَ يَدَاكَ وَخَسِرْتَ وَخَابْتَ ، وَهُوَ مَجَازٌ عَنِ
جَمَلَتِهِ ، أَي هَلَكَ وَخَسِرَ ، وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ. ثُمَّ قَالَ :
وَتَبَّ أَي وَقَدْ وَقَعَ فَعَلًا هَلَاكُهُ ، وَهَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ ، فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.
وَأَبُو لَهَبٍ : عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعَزَّيْزِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقَدْ
كَانَ كَثِيرَ الْأَذَى وَالْبَغْضِ وَالْإِزْدِرَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدِينِهِ.

(1) لم يقل في أول هذه السورة قل كما في سورة الكافرين ، حتى لا يشافه عمه بما
يريد في غضبه ، رعاية للحرمة ، وتحقيقاً لمبدأ الرحمة.

ج 30 ، ص : 457

ثم أخبر الله تعالى عن حال أبي لهب في الماضي ، فقال :

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ أَي لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا مَا
كَسَبَ مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْجَاهِ وَالْوَلَدِ ، وَلَمْ يَفِدْهُ ذَلِكَ فِي دَفْعِ مَا يَجِلُّ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، وَمَا
يَنْزِلُ بِهِ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ ، بِسَبَبِ شِدَّةِ مَعَادَاتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَدَّه
النَّاسُ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسِيرُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا قَالَ شَيْئًا
كَذَّبَهُ.

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد من بني الدليل ، وكان جاهليا فأسلم ، قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز ، وهو يقول : يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ، ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا عمه أبو لهب » .

والفرق بين المال والكسب :

أن الأول رأس المال ، والثاني هو الربح .

ثم ذكر الله تعالى عقابه في المستقبل ، فقال :

سَيَصَلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ أَي سِينُوقِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ ذَاتِ اللَّهَبِ الْمَشْتَعِلِ الْمَتَوَقَّدِ ، أَوْ سَوْفَ يَعْذَبُ فِي النَّارِ الْمَلْتَهَبَةِ الَّتِي تَحْرُقُ جِلْدَهُ ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ . قَالَ أَبُو حِيَانَ : وَالسَّيْنُ لِلْإِسْتِقْبَالِ ، وَإِنْ تَرَاخَى الزُّمَانُ ، وَهُوَ وَعِيدُ كَائِنِ إِجْزَاءِ لَا مُحَالَةَ ، وَإِنْ تَرَاخَى وَقْتَهُ « 1 » .

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحُطْبِ أَي وَتَصَلَى أَمْرَأَتُهُ أَيْضًا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ ، أَرَوَى بِنْتُ حَرْبٍ ، أُخْتُ أَبِي سَفْيَانَ ، كَانَتْ تَحْمِلُ الشُّوكَ وَالْغَضِيَّ ، وَتَطْرَحُهُ بِاللَّيْلِ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَنَّهَا كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ،

(1) البحر المحيط : 8 / 526 [.....]

ج 30 ، ص : 458

فيقال للمشاء بالنمائم ، المفسد بين الناس : يحمل الحطب بينهم ، أي يوقد بينهم النائرة ، ويورث الشر ، وهذا رأي الكثيرين .

قال أبو حيان : والظاهر أنها كانت تحمل الحطب ، أي ما فيه شوك ، لتؤدي بإلقائه في طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، لتعقرهم ، فذمت بذلك ، وسميت حمالة الحطب .

في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ أَي في عنقها حبل مفتول من الليف ، من مسد النار ، أي مما مسد من حبالها أي قتل من سلاسل النار . وقد صورها الله في حالة العذاب بنار جهنم بصورة حالتها في الدنيا عند النميمة ، وحينما كانت تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها ، ثم تلقيها في طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن كل مجرم يعذب بما يجانس حاله في جرمه . وقيل : صورها الله في الدنيا بصورة حطّابة ممتهنة احتقاراً لها ، وإيذاء لها ولزوجها .

ولما سمعت أم جميل هذه السورة أتت أبا بكر ، وهو مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد ، ويدها فهر (حجر) فقالت : بلغني أن صاحبك هجاني ، ولأفعلنّ وأفعلنّ ، وأعمى الله تعالى بصرها عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال لها : هل تري معي أحدا ؟ فقالت : أتخزأ بي ؟ لا أرى غيرك « 1 » .

والظاهر هو المعنى الأول قال سعيد بن المسيّب : كانت لأم جميل قلادة فاخرة ، فقالت : واللات والعزى لأنفقنّها في عدوة محمد ، فأعقبها الله حبلا في جيدها من مسد النار .

(1) البحر المحيط : 8 / 526 وما بعدها ، تفسير ابن كثير : 4 / 564 وما بعدها .

ج 30 ، ص : 459

فقه الحياة أو الأحكام :

1- أوضحت السورة نوع عذاب أبي لهب وزوجته أم جميل ، ومآلهما في الدارين لشدة عداوتهما لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم.

أما الآيات الأولى في أبي لهب فقد تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه :

أحدها- الإخبار عنه بالتباب والخسار ، وبوقوع ذلك فعلا.

وثانيها- الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده ، وبوقوع ذلك فعلا.

وثالثها- الإخبار عنه بأنه من أهل النار ، وقد كان كذلك لأنه مات على الكفر.

و تكليف أبي لهب بالإيمان في حد ذاته لا مانع منه ، وإن كان الله قد علم أنه لا يؤمن ، وأخبر أيضا أنه لا يؤمن وأنه من أهل النار ، قال الآمدي : أجمع الكل على جواز التكليف بما علم الله أنه لا يكون عقلا ، وعلى وقوعه شرعا ، كالتكليف بالإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن كأبي جهل « 1 » . وأيد ذلك الرازي في تفسيره «

والخلاصة : أنه كلف بتصديق الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم فقط ، لا تصديقه وعدم تصديقه ، حتى يجتمع النقيضان « 3 » .

وأما الآيتان الأخيرتان : فتصفان عذاب أم جميل بأنها مع زوجها تصلى نار جهنم وتنوق حرها وتتلظى بلهبها ، وأنها هالكة في الدنيا ، ومعذبة في الآخرة بجبل من نار ، وسلاسل من نار جهنم تطوقها ، لإيذائها النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ، فإنها كانت في غاية العداوة له ، ولإفسادها بين الناس بالنميمة وتأجيج نار العداوة بينهم.

(1) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : 73 / 1

(2) تفسير الرازي : 171 / 32

(3) غرائب القرآن : 214 / 30.

ج 30 ، ص : 460

قال الضحاك وغيره : كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ، وهي تحتطب في جبل ، تجعله في جيدها من ليف ، فخنقها الله جل وعزّ به في الدنيا ، فأهلكها ، وهو في الآخرة جبل من نار.

2- قال العلماء : في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى : سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يقيض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما ، لا ظاهرا ولا باطنا ، ولا سرا ولا علنا ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة « 1 » .

(1) تفسير ابن كثير : 565 / 4

ج 30 ، ص : 461